

الله

يح



وزارت علوم، تحقیقات و فناوری
پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پژوهشکده زبان و ادبیات عرب
زبان و ادبیات

پایان نامه کارشناسی ارشد زبان و ادبیات

"رسالة الماجستير في الأدب العربي"
(دراسة بيانية لمعاني مرثية سقوط بغداد للشاعر سعدي الشيرازي)

راهنما :
دکتر فیروز حریرچی

:
دکتر علیرضا میرزا محمد

پژوهشگر :
زهرا حکیم زاده

شهریور ه.ش

إهداء

إلى الإنسان الذي يَعْمُرُ بالإيمانِ والمحبةِ قلبه ويُسْتَضَاءُ بِالْعِلْمِ و الفهمِ والعملِ لُبَّهُ
ويتساوى انْهزَامُهُ أمامَ الإثمِ والبغْيِ بَعْدُهُ وَقُرْبُهُ وَإِذَا أَذْنَبَ تَابَ وَأَنَابَ إِلَى اللَّهِ عََلَّه يَغْفِرُ ذُنُوبَهُ وَأَمَامَ
اشتدادِ المصاعِبِ يَسْتَنْفِرُ بِأَسْنِهِ وَغَضَبِهِ وَالفكرِ السليمِ وَالصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ذَرِيَّتِهِ،
أهدي هذا المَوْكَّفَ المتواضعَ، أملتُ أنْ يُصَادَفَ حَسَنَ القَبُولِ وَاللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ.

شكر وتقدير

الحمد لله الذي علّم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على حبيبه وسيد خلقه الذي أرسله رحمة للعالمين وعلى آله البررة الميامين .

أقدم شكري الجزيل المحفوف بالتقدير والتبجيل الى والدي و إلى المرحوم والدي على تربيته وتعليمي .
و أقدم خالص شكري وامتناني إلى الأستاذ القدير الدكتور آل قيس، رئيس قسم اللغة العربية على جهوده واهتمامه الكبيرين ومساعدته الجادة في توجيه طلبه هذا القسم وحثهم على تقديم الأفضل في هذا المجال، كما كان له الدور الكبير في اختياري لموضوع الرسالة فقد طرح عليّ فكرة شرح القصيدة الرائية (رثاء بغداد) ولم يتردد لحظة عن توجيهي في إكمال البحث، وذلك رغبة منه في إحياء الأنشطة الثقافية وتطويرها لاسيّما و إن قروناً من العلاقات تربط بين الثقافتين العربية والإيرانية.

وأقدم شكري الجزيل وامتناني الكبير للأستاذ المشرف الدكتور حريجي على اهتمامه وأشرافه بالموضوع وحثّه لي لتقديم الأفضل وأقدم جزيل شكري وتقديري للأستاذ المستشار الدكتور ميرزا محمد على مساعدته وجهوده المتواصلة في الإشراف على الرسالة ومطالعتها بكلّ دقة وإتقان وتقديم التوجيهات اللازمة لإنجاز هذه المهمة.
ويطيب لي أن أعرب عن وافر شكري وتقديري للأستاذ المحقق الدكتور لساني لقاء تكريمه وتفضّله بفتح رموز البحث وأشارته الى أهم نقاط القصيدة و زوّدي بتوجيهاته وآرائه السديدة. وشكري الجزيل للأستاذ القدير الدكتور السيد خليل باستان على تكريمه وتفضّله لمراجعة الرسالة والتدقيق فيها وبيان نقاط ضعفها وتقديم الإقتراحات اللازمة لتعديلها وتصحيحها.

كما أعرب عن خالص شكري لرئيس مركز أبحاث العلوم الإنسانية الدكتور حميد رضا آيت الله على ماقدّمه من تطورات لهذا المركز الثقافي، المادية منها والمعنوية، والى رئيس كلية البحوث الأدبية الدكتور أبي القاسم رادفر وإلى مسؤول قسم الدراسات العليا السيد آقايي.

كما وأشكر جهود أمناء المكتبة العامة في هذا المركز العلمي وجميع العاملين فيها ، وخالص شكري وتقديري لزملائي في رحلتي الدراسية هذه، وأخصّ منهم صديقتي العزيزة عذراء صابري والزميل السيد خواجه پور، سائلين العلي القدير أن يوفقهم ويسدّد خطاهم في ميادين العلم والمعرفة، راجية للجميع التوفيق والنجاح.

والله ولي التوفيق

چكیده :

یکی از چهره های درخشان فرهنگ و ادب ایران ، شیخ مصلح الدین سعدی شیرازی است. وی اگر چه شاعری فارسی گو بوده ، اما اشعاری نیز به عربی سروده که در کلیات آثار او موجود است. علاوه بر این در اشعار فارسی جمله های عربی به صورت تضمین و اقتباس، فراوان است. ترکیبات و کلمات عربی در همه اشعار فارسی به فراوانی دیده می شود که نه تنها موجب ناخوشایندی نیست ، بلکه لطف کلام شیرین سعدی را مضاعف کرده است.

درباره این موضوع که سعدی از ادبیات عربی بهره فراوان داشته و اشعاری به زبان عربی سروده است، کسی تردید روا نداشته. او همچنان که در سخن پارسی استاد مسلم، در سرودن شعر عربی نیز دارای مهارت است.

این امر در قصیده رائیه اش درباره ویرانی بغداد به دست مغولان بیشتر تجلی شده که بیانگر ارزش فراوان این مجموعه می باشد. اما تا به حال کسی به شرح و بررسی این مرثیه پرداخته ، بنابر این در این رساله به بیان معانی و شرح ابیات قصیده پرداختیم، تا در دسترس دوستداران سعدی و اهل ادب قرار گیرد. این رساله که تحت عنوان «دراسة بیانیة لمعانی مرثیة سقوط بغداد للشاعر سعدی الشیرازی» می باشد طی دو فصل بررسی شده و تحلیلی از قصیده رائیه سعدی و ذکر آثار او به عمل آمده است.

ابتدا مقدمه ای به عنوان کلیات تحقیق ایراد شده که شامل (طرح مسئله، ضرورت و اهمیت آن، اهداف تحقیق، شیوه تحقیق، و نتیجه گیری) است، فصل اول شامل زندگی نامه سعدی و آثار او، مهمترین شعرای معاصر سعدی و تأثیر زبان عربی و قرآن و حدیث بر آثارش ، به بخصوص بر قصیده مرثیه بغداد می باشد. فصل دوم که بلندترین و مهمترین بخش این رساله به شمار می رود ، به بیان معانی قصیده و شرح ابیات آن ، و در پایان به نتیجه گیری و فهرست مطالب پایان نامه پرداخته شده است.

پس از خواندن مرثیه بغداد و درک مفاهیم و مضامین آن، با دقت نظر، به حجم تأثیر قرآن و حدیث بر این قصیده می رسیم و نتیجه می گیریم که سعدی ادبیات عربی را به خوبی دریافته و با دریافت عمیق از مضامین شعر عرب و با تسلط بر قرآن و حدیث و دیوان های شعر در همه دوره ها، استاد سخن بوده است. سعدی در کار سرودن شعر و نویسندگی یک هنرمند است و در معارف گوناگون خود بیش از هر چیز تحت تأثیر فرهنگ غنی اسلامی بوده که از راه زبان و ادبیات عربی بر صفحه پذیرای ذهن او نقش بسته و با سرشت متعالی و هنر پذیرش درآمیخته است.

امید است این پژوهشها موجب استفاده بیشتر از معارف سعدی شده و انسانها بتوانند با بهره گیری از آن، زندگی خویش را به سوی کمال سوق دهند.

واژگان کلیدی: کلیات آثار، تضمین واقتباس، قصیده راییه، مرثیه بغداد.

الفهرس

الموضوع.....الصفحه

تمهيد	١
مقدمة	٢
- الموضوع	٢
- أهداف البحث	٢
- طريقة البحث	٣
- استنتاج	٤
1- الفصل الأول	٥
1-1- سعدي الشيرازي	٦
1-1-1- مولده ونشأته	٦
1-1-2- إنتاجه	٧
1-1-3- أهم الشعراء والأدباء المعاصرين لسعدي	١٠
1-1-4- المصادر الدينية لقصيدة سعدي الراهية	١٢
1-2- أشعار سعدي العربية	١٦
1-2-1- الروافد الثقافية لأشعار سعدي العربية	٢٢
1-3- توثيق النص	٢٦
1-3-1- قصيدة رثاء بغداد	٢٦
2- الفصل الثاني	٣١
2-1- شرح القصيدة وبيان مفرداتها	٣٢
2-2- استنتاج	١٤١
2-2-1- الصورة الشعرية في قصيدة رثاء بغداد	١٤٣
المصادر والمراجع

١٤٥

- المصادر العربية ١٤٥
- المصادر الفارسية ١٤٧

(Abstract)

تمهيد

مَعَ شَاعِرِ أَدِيبِ فَنَّانٍ: كَانَتْ الْفُرْشَاةُ قَلَمَهُ، دَبَّحَ بِهَا أَشْعَارَهُ وَتَأْمَلَاتِهِ وَقَصَصَهُ؛ وَكَانَ الْقَلَمُ فُرْشَاتِهِ، صَوَّرَ بِهِ لَوْحَاتِهِ فَبَثَّهَا أَفْكَارَهُ وَتَصَوُّرَاتِهِ وَمَشَاعِرَهُ ...

تَشَعَّرَ عِنْدَ قِرَاءَتِهِ بِمَذَاقٍ خَاصٍّ؛ فَلَأَلْفَاظِهِ رَقَّةٌ نَادِرَةٌ؛ وَلِتَشْبِيهَاتِهِ خَيَالٌ عَجِيبٌ؛ وَإِذَا وَصَفَ شَخْوصاً أَوْ أَحْدَاثاً جَاءَ وَصْفُهُ شِعْرِيًّا؛ وَإِذَا أَفْصَحَ عَن رَأْيٍ أَوْ اعْتِقَادٍ نَضَحَتْ تَعْبِيرَاتُهُ بِالْعَاطِفَةِ وَالْبَلَاعَةِ الْقَوِيَّةِ؛ وَإِذَا حَلَّلَ مَوْقِفاً غَاصَّ فِي أَغْوَارِهِ وَأَحَاطَ بِكُلِّ أبعادِهِ ...

مَعَ سَعْدِيِّ الشَّيرَازِيِّ، عَزِيزِيِّ الْقَارِيءِ، هَذَا اللَّقَاءُ الْجَدِيدُ فِي "رَثَاءِ بَغْدَادٍ"، حَيْثُ جَدُّ تَفْصِيلاً لشرح أبياته وتوضيح مفرداته.

لَقَدْ كَتَبَ سَعْدِيُّ الشَّيرَازِيِّ جَانِباً مِّنْ أَشْعَارِهِ بِالْفَارْسِيَّةِ، وَكَتَبَ الْجَانِبَ الْآخَرَ بِالْعَرَبِيَّةِ؛ فَاصْطَفَيْنَا مِمَّا كَتَبَهُ بِالْعَرَبِيَّةِ، قَصِيدَتَهُ الرَّائِيَّةَ فِي "رَثَاءِ بَغْدَادٍ" الَّتِي وَضَعَهَا بِبِرَاعَةٍ وَاقْتِنَادٍ.

وَقَدْ قُمْتُ بِدَوْرِي كَأَدَاءٍ لِإِعْدَادِ رِسَالَةِ الْمَاجِسْتِيرِ، بِتَحْقِيقِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ وَدِرَاسَةِ مُفْرَدَاتِهَا وَشَرْحِ مَا عَمَضَ مِنْهَا.

تَلَّكَ، أَيُّهَا الْقَارِيءُ الْكَرِيمُ، نِتَاجَ قَلَمِ طَائِرٍ اغْتَرَبَ، أَبَ إِلَيْكَ فِي حِلَّةٍ جَدِيدَةٍ، عَلَيْهِ يَحُوزُ رِضَا اللَّهِ، وَرِضَا اللَّهِ بُغْيَتُنَا، وَرِضَا النَّاسِ غَايَةٌ لَا تُدْرَكُ .

الموضوع :

إنَّ الخوض في أعماق شخصية سعدي الأدبية واكتناه الصورة الكلية للأثر العربي في أدبه لا يتحققان بصورة كلية عند تناول نتاجه الفارسي فحسب، بل بدراسة نتاجه المتمثل في أشعاره العربية جنباً إلى جنب دراسة نتاجه الفارسي.

ومن بين باقة أشعاره العربية اخترنا قصيدته الرائية في "رثاء بغداد" و هي من أروع ما كتب على الإطلاق، فنياً أو شعرياً أو عاطفياً أو بكل المقاييس. وهي من ناحية أخرى من أطول قصائده، سواء الفارسية منها أو العربية، بل أطولها جميعاً حتى تكاد تكون إحدى المعلقات الكبرى وعلى الرغم من بلوغها الذروة في براعة البيان والبلاغة ومن سلاسة التعبير والإفصاح عن المشاعر الصادقة، وآلام الشاعر وشجونته، يتطرق فيها أيضاً إلى الحكمة والأخلاق، كما تحتوي على صناعات أدبية وصور الخيال، ويعكس لنا فيها صوراً واضحة عن الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والأدبية لتلك الأيام، وعلى الرغم من ذلك، نرى أن تلك القصيدة لم تأخذ حقها من الذكر والإشارة.

أهداف البحث :

تعددت وكثرت الصلات بين الأدبين العربي والفارسي بل وأمتزجتا ليشكلا معاً تراثاً ضارياً جمع في طياته شتى أنواع الأدب وأجناسه المختلفة. وفي بداية تكوين هذه النهضة، لم يكن هناك فرق بين عربي أو اعجمي إلا بالتقوى، فكلهم مسلمون ولذلك بدأ التناقل والأمتزاج بين الشعوب وثقافتهم وآدابهم وتلك هي حكمة الإسلام في إحتوائه للجميع. وهذا ما فسح المجال للشعراء لتنظيم عدد كبير من الأشعار باللغة العربية، وما أكثر الشعراء الفرس الذين تعدت قصائدهم وأعمالهم عن آلاف الأبيات، كحافظ والروذكي وسعدي الشيرازي. و وحدتنا الحضارية ضرورة حياتية في هذا العالم المضطرب بالتكتلات ، وسعدي الشيرازي قدم النموذج الرائع للوحدة الحضارية بين إيران والعرب. فمزجهُ بين اللغتين العربية والفارسية هي من مظاهر اهتمامه بهذه الوحدة. راه يبدأ قصيدته الرائية التي رثا فيها بغداد بمقدمة غزلية مهّدها للدخول إلى غرض من أغراضه المتعددة، وغرضه الرئيسي هو الرثاء. فجعلها أنشودة غنى على أوتارها أشجانه وعزف عليها أحزانه وبث فيها لواعجه. "واللقاء نظرة سريعة على أشعاره التي أنشدها بلغة الضاد والمفعمة بالمفاهيم الإسلامية القرآنية والتي تحتوي على ما انطوى عليه الشاعر من العقيدة القلبية للدين الحنيف، هي خير دليل واقوى حجة على أن الإسلام هو من أهم الدوافع وبرزها التي جعلت شاعرنا سعدي الشيرازي يسرد قصائد كثيرة باللغة العربية التي انزل الله بها القرآن الكريم

على نبيه العربي (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي اتى بالشرعية السهلة السمحاء والتي فتحت امام سعدي كسائر علماء الإسلام والمفكرين آفاقاً مشرقة واسعة من الفكر الذي اخرج الناس من الظلمات الى النور".
ولاشك أن الأمة الإسلامية حيّة بقرآنها، لأنه الكتاب الذي يستطيع دائماً أن يضحّ في جسدها مقومات الحياة، ويحافظ على مستواها الرفيع من الذوق والمشاعر الإنسانية، بما يحمله من إعجاز أدبي ومحتوى قابل للتكيف مع تغيّرات الزمان.

لكن الظروف المناوئة التي تحيط بالإنسان أو بالأمة تحجب القلوب وتجعل في الآذان وقراً، وتجعل بين الإنسان والخطاب القرآني حجاباً، وهنا يأتي دور المصلحين ليزيلوا هذه العوامل العازلة من قر وحجب، وليفتحو قلوب الناس وأذانهم لتتلقى نداء الروح ولتصغى الى كلام السماء. وأفضل وسيلة يستطيع أن يمارسها المصلح لتحقيق الهدف هو "الأدب" لأنه الخطاب الذي يحمل من نور الجمال ما يستطيع أن يخترق به ظلمات كل قبح تسقط البشرية في وحوله.

طريقة البحث :

يُعتبر سعدي الشيرازي من أولئك المصلحين الذين عاشوا في أحلك الظروف الاجتماعية حيث ادلهمت خطوب الجهل الداخلي والغزو الخارجي لتمزق وجود الأمة، فحمل قيثاره أدبه وظل يعزف عليها في أرجاء العالم الإسلامي، ليكون له الدور الخالد في مخاطبة جيله وكل الأجيال بلغة تنفذ إلى القلب والروح فتوقظ المشاعر الإنسانية من سباتها، وترفع الإنسانية إلى حيث أراد لها بارئها من عزة وكرامة .

استأنفت العمل في تحرير هذه الرسالة بالبحث عن معاني مفردات القصيدة، وكان جُلّ اهتمامي هو تغطية أكبر عدد للمفردات، آخذةً بعين الاعتبار طلاب اللغة العربية من غير المتكلمين بلغة الضاد. وكانت وسيلتي في هذا المجال هي أشهر معاجم اللغة، كلسان العرب، والقاموس المحيط، و استغرقت هذه المرحلة فترة طويلة، وقد حرصت على ذكر أقرب معنى يفني بالعرض المطلوب في القصيدة ، حتى ليجد القارئ نفسه قد استلهم معنى البيت قبل مراجعة تفسيره، واستشهدت على الأبيات إلى أبعد حدٍ ممكن بالآيات والروايات لتكون أوضح معنى وأقوى حجّة ، وبدأت ببيان معاني مفردات كل بيت من أبيات القصيدة أولاً ، وبعد الإنتهاء من هذه المرحلة، بدأت بشرح الأبيات استأنفتها بهذه العلامة (●) للدلالة على شرحها، كما أشرت الى بعض الصناعات الأدبية وصور الخيال التي استخدمها الشاعر في قصيدته والتي أجاد فيها.

ثم جعلت الرسالة في فصلين تسبقها مقدّمة وتنتهي بالإستنتاج، الفصل الاول عبارة عن حياة سعدي ونتاجه، وعن تأثر أشعاره باللغة العربية والقرآن والسُّنة. والفصل الثاني يتضمّن بيان مفردات القصيدة وشرح أبياتها والإشارة الى الصناعات الأدبية المستخدمة فيها، ومن ثمّ إشارة الى أهم الأغراض المذكورة في هذه القصيدة بقالب استنتاج يحتوي على عدّة نقاط مهمة، ويشمل أيضاً مختصر الرسالة باللغة الإنجليزية والمصادر.

استنتاج :

عند مطالعة قصيدة سعدي الرائية الرائعة التي تناول فيها سقوط دار الخلافة "بغداد" وهلاك أهلها على يد هولاءكو ومقتل المستعصم، نجده يربط بين أجزاء القصيدة من حيث المعنى ، فظهرت أفكارها مترابطة متماسكة لا تناقض بينها، ينتقل من فكرة الى أخرى انتقالاً طبيعياً دون انفصال عن الموضوع الأصلي "الرتاء"، فنجد الصورة الشعرية عنده في تلك القصيدة باللوعة والحسرة والألم مثلها مثل مشاعره الشغوفة تماماً . وتشتمل قصيدته على محسنات تتسم بالفصاحة والبلاغة والروحانية والجمال، لما تحويه من مضامين سامية ومسائل اجتماعية مختلفة كما ينقل لنا صورة عن الأوضاع السياسية المعاصرة له. وهو يدرك جيداً مهمته الأخلاقية والاجتماعية والدينية، ممّا جعله أهلاً للإحترام لما يقول من حقائق و يُعلّمُ الغافلين بوظائفهم المترتبة عليهم. وما لكلام سعدي من نفوذ في الأذهان وتأثير في الأصول الفكرية والأخلاقية، يجعله من عداد كبار المرين ومعلمي الأخلاق ليس في إيران وللناطقين بالفارسية فحسب، بل لكافة أبناء البشر .

رجل ظهر في القرن السابع الهجري بمدينة شيراز من بلاد فارس يتحدث بلغة تستولي على العقول والقلوب بنثرها وشعرها، وجدّ الناس فيه ضالتهم التي تنشدها فطرهم الإنسانية، في وقت تكالبت فيه الظروف السيئة على العالم الإسلامي لتؤدي إلى هجوم المغول وسقوط الخلافة العباسية. وما كان هجوم المغول إلا بعد أن توفرت في المسلمين قابلية الغزو، فقد تفشت أمراض النزاعات الداخلية والجهل، وأدى كل ذلك إلى غياب الأهداف الكبرى والمثل العليا في المجتمع، وما ينجم عن ذلك عادة من حرص وطمع وذل واختلال في القيم.

هو أعظم شعراء إيران في فن الوعظ والنصيحة، معتدل في معتقداته العرفانية التي جعلها في خدمة الهدف الأخلاقي، وشهير في عالمي الشرق والغرب، إنه مشرف الدين مصلىح الدين عبدالله سعدي الشيرازي. (اسمه وفق أقدم نسخة من كليّاته المخطوطة والموجودة في مكتبة اينديا أوفيس المعارف عليه: مشرف الدين مصلىح بن عبدالله) .

٢

والفرق بين الأديب وغيره، هو أن الأديب وهبه الله قدرة رؤية الأشياء بأعمق مما يراه الإنسان الاعتيادي، ومن هذه النظرة العميقة ينطلق لاتخاذ مواقف لا يتخذها الآخرون. وسعدي الأديب رأى ما رآه الآخرون من أمراض عصره، ولكنه لم يقف أمامها موقف الخاضع العاجز المستسلم الذي يبررها بأسباب غيبية ويعزوها إلى القضاء والقدر، بل نظر إليها نظر طبيب قادر على أن يشخص أسباب هذه الأمراض وينهض لعلاجها.

١-١-١ - مولده ونشأته:

ولد سعدي في شيراز حوالي سنة ٥٨٠هـ، وتوفي في السنة العاشرة بعد المائة، أي في ١٧ ذي الحجة سنة ٦٩٠هـ، وفي اعتقاد آخرين سنة ٦٩١هـ .

٣

فقد أباه في سن مبكرة فانتقل إلى رعاية حاكم فارس المعروف باسم الأتابك "سعد بن زنكي" الذي تولى العرش سنة ٥٩٢هـ. وقد اختار الشاعر تخلّصه الذي عُرف به وهو "السعدي" من اسم هذا الحاكم وتكرماً له. وإلى هذا الحاكم يرجع الفضل في إرساله إلى المدرسة النظامية في بغداد لمتابعة دروسه . وعلى هذا الشكل بدأ^٤ المرحلة الأولى من مراحل عمره الثلاث، أي مرحلة الدراسة وقد استمرت إلى سنة ٦٢٤هـ، وقد أمضى كل هذه المدة في بغداد باستثناء سفره سنة ٦٠٦هـ إلى كاشغر. منذ هذا العهد، رغم سيادة القيود القاسية للفلسفة الأخلاقية والأحكام التي كان التزامها أمراً واجباً ، والتي كانت تحول دون انطلاق ما تختلج به نفسه من اندفاع شاعريّ ينحت وجدانه بأشعار عذبة عبّرت عن حياة جديدة تضجُّ نشاطاً وحبّاً بالحياة. وهذا ما جعل اسمه محبباً

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي، ص ٦٦٨.

كليات سعدي، تصحيح محمد علي فروغي (ذكاء الملك)، ص ٢٧.

تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي، ص ٦٧٠.

لدى العامة. وفي الوقت نفسه، بذل جهداً كبيراً في السعي للعرفان، وكان استاذة في هذا الطريق الشيخ شهاب الدين السهروردي، مؤسس السلسلة السهروردية، الذي ولد في رجب سنة ٥٣٩هـ، وتوفي غرة محرم سنة ٦٣٢هـ. في ذلك الوقت أي سنة ٦٣٢هـ، سقط الحكم من يد راعيه سعد بن زنكي في يد المغول، فحدث خراب وفوضى في كل بلاد فارس، فلجأ سعدي إلى التهرب، ومع هذه الحادثة، بدأت المرحلة الثانية من عمره، والتي امتدت من سنة ٦٢٣ إلى سنة ٦٥٤هـ، فساح في هذه الفترة تقريباً في كل البلاد التي فتحها المسلمون من الشرق إلى الغرب. فذهب إلى بلخ وغزنه والبنجاب، ثم إلى معبد سومنات الذي يقع في شبه جزيرة كجرات، ثم ذهب إلى دهلي وتعلم اللغة الهندوستانية، ثم إلى اليمن عن طريق البحر، ومن هناك توجه إلى الحبشة، وفي النهاية عاد إلى البلاد العربية، و حج بيت الله الحرام عدة مرات، وأقام مدة في بلاد الشام وخاصة في دمشق وبعلبك، حيث زاول الوعظ ثم أقام في فلاة بجوار بيت المقدس، وفي ذلك المكان وقع أسيراً في يد مجموعة من الجنود الصليبيين، ونقل إلى طرابلس وأجبر على الأعمال الشاقة في خندقها، وفي النهاية اشترت حريته على يد صديق له من أهل حلب وأطلق سراحه. ثم تمكن من إنقاذ نفسه من براثن ابنة ذلك الشخص المنعم والتي اضطرت إلى الزواج منها. وبعد طواف في شمال أفريقيا عاد في النهاية إلى موطنه شيراز. في هذه المدينة حيث عاد السلام والهدوء مرة ثانية، وأصبحت زمام الأمور كلها بيد ابن المنعم السابق على الشاعر، أي إلى أتابك أبو بكر بن سعد .

١-٢-١- إنتاجه:

وصل سعدي إلى المرحلة الثالثة من عمره الطويل ، والتي تُعتبر ذروة نشاطه، وتمتد من سنة ٦٥٤ إلى سنة ٦٩٠هـ. في هذه المرحلة من السكون والهدوء اهتم سعدي بقوة بتأليف مواده ومواضيع كانت نتيجة ثلاثين سنة من التجوال العالمي والتجارب ومعرفة البشر، وفي سنة ٦٥٥هـ ، حرر سعدي ألطف منظوماته وأعمقها في سائح التعليمية تحت عنوان "بوستان" والتي يسمونها أيضاً "سعدي نامه" ، وهي تعرض في عشرة أبواب أرفع المطالب الأخلاقية، مثل العدل، والتدبير، والإحسان، والعشق، والتواضع، والرخاء، والقناعة، والتربية، والشكر والتوبة. وهو يمثل عليها بحكايات تفيض بالعقل والحكمة، لا سيما في الباب الثالث الذي تناول فيه العشق و سَمَّه بصيغة عرفانية، وهو يبين ألطف معتقدات سعدي الصوفية .

وبعد عام، أي سنة ٦٥٦هـ، ظهر لسعدي مؤلفه الثاني المعروف، أي "الكليستان" والذي تجاوزت شهرته "البوستان" وهو مزيج من النثر والنظم، وهو إذا قيس بالبوستان ألفيته أقل عمقاً في مطالبه، لكنه جذاب إلى درجة

مقالة الدكتور هرمان إته، عدد خاص "سعدي الشيرازي"، الجامعة اللبنانية، قسم اللغة الفارسية وآدابها، ص ١٦-٢٢.

كليات سعدي، محمد علي فروغي (ذكاء الملك)، ص ٢٨.

كليات سعدي، محمد علي فروغي (ذكاء الملك)، ص ٢٨.

محيّرة، بعضها تاريخي، وبعضها خرافي، وبعض الحكايات أيضاً هي من إبداع خيال الشاعر نفسه أو نتيجة ذكريات سفره.

في كلستان ثمانية أبواب، وموضوعاته شديدة الشبه بالبوستان، وقد تناول فيه سعدي سير الملوك وأصحاب القصور وأخلاق الدراويش، وفضيلة القناعة، وفوائد الصمت، والعشق والشباب، والضعف والشيخوخة، وأثر التربية وآداب الصحبة. كذلك يحتوي على أشعار وافرة قيمة تميل إلى الحكمة والأخلاق، و رغم أن تلك الأشعار لا تصل في تنوعها وعظمتها إلى مستوى أشعار مولانا جلال الدين الرومي، كما تظهر أحياناً أخرى طويلة من حيث العرض والطول إلا أنها من حيث الإحساس الدافئ والذوق الثري والأفكار اللطيفة تنافس أشعار جلال الدين. ويمكن أن تُقسّم أشعار سعدي إلى عدة مجموعات لكن تحديد تسلسلها التاريخي ليس خالياً من بعض الإشكالات.

أولى هذه المجموعات هي قصائده العربية، يُظهر فيها الشاعر مقدرة في تلك اللغة التي تعلّمها في أيام دراسته في بغداد. أولى هذه القصائد المرثية التي أنشدتها بمناسبة سقوط بغداد و زوال خلافة المستعصم بالله سنة ٦٥٦هـ. المجموعة الثانية تتناول قصائد فارسية، قسم منها في مدح الملوك والوزراء، وقسم في المواعظ الأخلاقية والدينية، مثل تجلّي الواحد الأحد في مواسم الربيع الطبيعية، وعظمة الخالق، والسعي في طريق اكتساب التربية، و زوال هذا العالم، والوصول إلى الباقيات الصالحات، وعودة الشاعر إلى شيراز.

ثالثة تشمل مرثي الشاعر في باب أتاك أبو بكر الذي توفي في الخامس من جمادى الثانية سنة ٦٥٨هـ، وفي ابنه و ولي عهده سعد الثاني الذي عمر مدة قصيرة بعد والده، وأيضاً في شأن الأمير سيف الدين السوري، ويوسف شاه من ملوك فارس المتوفى سنة ٦٦٨هـ. وآخر الخلفاء العباسيين، وكذلك تلهّفه على انقضاء شهر رمضان، إذ من المعلوم أنه كان من المواضيع التي تستحوذ خيال الشاعر وفكره.

المجموعة الرابعة عبارة عن الملمّعات، أي أشعاره الغزلية التي ستعمل في أبياتها على التوالي مصارع عربية وفارسية، وآخر هذه الأشعار شعر يُسمّى المثلثات، أي أنه مؤلف من ثلاث لغات، ذلك أن سعدي في هذا الشعر إضافة إلى الفارسية والعربية استعمل اللغة التركية التي كان يعرفها أيضاً.

المجموعة الخامسة عبارة عن شعر مركب في ذكر النصائح، وهو مركب متأثر بالغزل.

السادسة حتى التاسعة: عبارة عن غزل في أربعة أقسام، أي الطيبات والبدايع، التي هي في الواقع نخبة غزل الشاعر. الثاني: الخواتيم أي أشعار لها قيمة خاصة من حيث اللفظ والمعنى، وهي أنضح ما فاضت به قريحة الأستاذ، ومعناها حصراً مرتبطاً بالعشق الإلهي، ثم الغزليات التي تنضح من عهد شباب الشاعر.

العاشرة: الأشعار الصاخبة التي هي عبارة عن قطع في الحكمة، إنَّها بلا ريب تتعلق بصاحب الديوان، الوزير الأول لهولاكو وخلفه شمس الدين محمد جويني المعروف، والذي كانت لسعدي علاقة صداقة به (توفي سنة ٦٨٣هـ) ويمكن القول إن هذا الشعر كتاب في قواعد السياسة و إدارة الدولة.

الحادية عشرة: مقطوعات قصيرة من الشعر تشبه الأشعار الأخيرة السالفة الذكر.

الثانية عشرة: رباعيات ومفردات، ويشاهد فضلاً عنها المطايات أو الأشعار الهزلية، والتي سميت في بعض النسخ الخبيثات، وهي تحوي أشعاراً غير لائقة، والعدر الوحيد لسعدي أنه كتبها بصورة مقدمة لأشعاره العربية، و ربما كان أحد الأمراء طلبها منه، ولم يكن له حيلة للتخلص من هذه الأقوال التي تقلل من قيمة الشعر، أول ترتيب وتصنيف لها، يعود إلى سنة ٧٢٦ - ٧٣٤هـ، جاء فيه مقدمة من علي بن أحمد بن أبي بكر بيستون وفيه ستة أو خمسة محالس تبدأ بقصيدة في حمد الله ونعت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وفيها يتكلم عن مقابلة الحياة الفانية بالحياة الخالدة، الإيمان والخوف من الله تعالى، والعشق الإلهي، والسعي والوصول إلى الحق.

الرسالة الثالثة: ليست من نتاج سعدي نفسه، بل إنَّها تحتوي على رسائل من الوزير شمس الدين الجويني و أجوبة سعدي.

الرسالة الرابعة: في باب العقل والعشق، وهي في الواقع أوضحت وجهة نظر سعدي في الجواب عن سؤال مولانا سعدي الدين، وهو ضمن ثمانية أبيات، إذ سأل الشيخ: أي من العقل أو العشق يستطيع أن يوصل العبد إلى الله تعالى.

٩

الخامسة: وهي المسماة نصيحة الملوك .

الرسالة السادسة: مؤلفة من ثلاثة أقسام مختصرة، ليس أولها وآخرها من قلم سعدي مباشرة.

في أولها عبارتان حول لقاء الشيخ مع السلطان أباقا خان الحاكم المغولي (الذي ولي الحكم بعد أبيه هولاكو سنة ٦٦٣هـ، وقد سمَّ نفسه سنة ٦٨٠هـ)، والثانية عظة إلى أنكيانو حاكم فارس (٦٦٧ - ٦٧٠).

الثالثة بيان لقاء آخر مع الملك شمس الدين (رئيس ديوان الخراج في فارس من سنة ٦٧٦ هـ إلى ما بعدها). وفي بعض النسخ الخطية رسالة سابعة أيضاً هي في واقعها تقليد غير مبال بمواعظ الرسالة الثانية، وقد تكون أيضاً في شأن أسئلة مشابحة عادية باسم "مجلس هزل" أو "الهزليات"، وهي عبارة عن تسع حكايات باسم "المضحكات" تأتي مباشرة بعد "الخبيثات"، أما المثنوي الآخر المنسوب إلى سعدي، والذي يرى بعضهم في نسبته إليه خطأ،

كليات سعدي، محمد علي فروغي (ذكاء الملك)، ص ٨٨٣.

المصدر السابق، ص ٨٧٨.

كليات سعدي، محمد علي فروغي (ذكاء الملك)، ص ٨٨٣.

عنوانه "بندنامه" فقد بنى على نهج العطار، ويبدأ أيضاً بخطاب "أيها الكريم"، وعلى كل حال يُلاحظ فيه جمال أقوال سعدي.

من أهم الشروح التي كتبت على مصنفات وإبداعات الأستاذ، شروح البوستان، شروح السهروردي في اللغة الفارسية، شرح الشمعي والسودي المتوفى سنة ١٠٠٦هـ، في اللغة التركية، والشروح الفارسية لعبد الرسول ١٠٧٢هـ، وعبد الواعظ هانوي، وشروح الشيخ رياض علي والشيخ قادر علي، وقد ألف في النصف الأول من القرن التاسع عشر أيضاً الشاعر قاسم أنور منتخبات من البوستان باسم خلاصة البوستان الشروح المتعلقة بالكلستان، شروحات عربية، واحد ليعقوب بن سيد علي المتوفى سنة ٩٣١هـ، وآخر علي يد السروري الذي أكمله أواخر ربيع الثاني، المتوفى سنة ٩١٠هـ، والذي يدور فقط حول مقدمة الكلستان الثاني للشمعي الذي ألفه سنة ٩٧٧ أو ٩٧٩هـ، الثالث للسودي. ومن الشروح الفارسية واحد لعبد الرسول، يشرح فيه أيضاً البوستان، وآخر لمحمد نور الله أحراري الذي شرح فيه الحديقة والمثنوي، وهناك نسخة خطية في اينديا أوفيس. وآخر عنوانه بحار عمر (ربيع العمر) لمؤلف مجهول سنة ١١١٩هـ، هناك نسخة منه في المتحف البريطاني، آخر من تأليف محمد أكرم بعنوان "بوستان أفروز" (البوستان المضيئ) وهو أيضاً لمحمد سعيد ١١٩٧هـ. وهناك شرح آخر توأم، لغتنامه، تأليف أويس بن علاء الدين الذي أنشأه في العاشر من محرم سنة ٩٠٠هـ، ويسمى مفتاح الكلستان.

١-١-٣- أهم الشعراء والأدباء المعاصرين لسعدي:

نعلم أن سعدي قضى زمناً طويلاً من حياته في الجامعات الإسلامية التي كانت تعتبر في عصره مركز الحضارة الإسلامية كالمدرسة النظامية والمدرسة المستنصرية، وقد تتلمذ على كبار أساتذة عصره كأبي الفرج الجوزي وشهاب الدين السهروردي وكان معاصراً لأئمة العلماء وعباقر الصوفية مثل نجم الدين كبرى ومحيي الدين بن العربي. فضلاً عن ذلك فقد عاصر الكثير من الأدباء والشعراء وكبار العلماء والفقهاء والمفسرين الذين كانوا يكتبون ويدونون آثارهم باللغة العربية التي كانت الوسيلة الوحيدة العالمية لانتقال العلوم والحضارة الإسلامية عن كتب بالأدب العربي والآثار والمؤلفات التي دونت بهذه اللغة. ونرى أمامنا عملاقين عظيمين من عمالقة الأدب

سلسلة من المدارس أمر ببنائها الوزير السلجوقي العالم والمقتدر، الخواجه نظام الملك في القرن الخامس الهجري، في جميع الولايات التي كانت تخضع لحكم السلطنة. أما نظامية بغداد، فقد انتهى بنائها سنة ٥٥٩هـ، وقد انفق نظام الملك ٢٠٠٠٠٠ دينار من أمواله الخاصة لبناء هذه المدرسة، وخصص لها أوقاف ومبالغ طائلة. وفي هذه المدرسة تمّ مين حُجْر إقامة الطلاب. وتحتوي مكتبتها العظيمة على كتب قيّمة ونادرة. وبلغ عدد طلابها ستة آلاف طالب يتلقون فيها علوم الفقه والتفسير والحديث والنحو واللغة والأدب والفلسفة. (معجم دهخدا، الجزء الثالث عشر، ص ١٩٩٥٩). (بتصرف).

٥. المدرسة على الضفة الشرقية من نهر دجلة بالقرب من جسر الشهداء، وتعدّ من أشهر أبنية العصر العباسي المتأخر، أمر ببنائها الخليفة العباسي المستنصر بالله سنة ٦٣١هـ (١٢٣٤م). وتشكّل المدرسة المستنصرية من الوجهة الفنية والتاريخية والمعمارية نموذجاً رائعاً من الأمثلة العمرانية خصوصاً بما ينطوي عليه تكوين البناء على خصائص مميزة في العمارة الإسلامية. (دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، الجزء الثامن)، ص ٢١١.

كليات سعدي، محمد علي فروغي (ذكاء الملك)، ص ٢٨.

الفارسي، كانا يعيشان لا في عصر سعدي فحسب، بل في أيامه ولحقهما من محنة المغول مالحق سعدي الذي يقول في شعر له انه فارق مدينته شيراز لا عن زهد فيها، بل بسبب "هؤلاء الذين لهم صورة بشر وخلق سباع"، أولهم الشاعر والكاتب المبدع، الصوفي المعروف فريد الدين العطار الذي قتله المغول في فتنة نيسابور قبل سقوط بغداد، اي قبل تأليف بوستان، والذي خلف لنا رائعته الشعرية القصصية الصوفية، كتاب "منطق الطير" الذي يشكل قصة شعرية واحدة تتفرع منها قصص جانبية كثيرة.

والثاني قيّارة الادب الفارسي مولانا جلال الدين بن محمد المشهور بمولوي (٦٠٤ - ٦٧٢)، الذي شرده خوف المغول من بلده بلخ، حين هاجر أبوه به صغيراً حتى حطّ رحاله في قونيه ببلاد الروم آسيا الصغرى ليلقب بسبب ذلك بالرومي، والذي خلف للأعصار والأمصار معجزة الشعر الوجداني الرفيع، عرفت بديوان "المثنوي" الذي لقب بقرآن اللغة الفارسية، والذي تفيض جنباته بالاقاصيص والحكايات الشعرية المعبرة، وهي قصص مستقلة واحدها عن الاخرى، اي كقصص سعدي في بوستان . وغيرهم ممن سطع نجمه في سماء الأدب، كالخاقاني الملقب بحسان العجم (٥٠٠ - ٥٨٢)، وشهاب الدين الملقب بالسهروردي (... - ٥٨٧) وكان متضلّعاً في العلوم الحكيمية جامعاً للفنون الفلسفية بارعاً في الأصول الفقهية، فمن مؤلفاته: المشارع المطارحات الذي يشتمل على العلوم الفلسفية الثلاثة من منطق وطبيعيات والهيئات. وأبو عبدالله محمد بن صفى الدين أبي الفرج المعروف بالعماد الإصبهاني، الذي ترك عدّة مؤلفات، كفريدة القصر، والفتح القدسي في فتح بيت المقدس وغيرها من المؤلفات. وابن الساعاتي الخراساني (٥٦٢ - ٥٩٨هـ) العالم بعلم النجوم والشاعر المشهور وله ديوان "مقطعات النيل". وأبو محمد الخوارزمي الملقب بصدر الأفاضل (... - ٦١٧) الذي برع في علم الأدب وفاق في نظم الشعر ونثر الخطب، وله تصانيف منها: كتاب الجمرة في شرح المفصل، شرح مسقط الزند، شرح النموذج وشرح المفرد والمؤلف، وقد قُتل على يد التتار سنة ٦١٧هـ. والخواجه نصير الدين الطوسي (٥٧٧ - ٦٧٢هـ)، صاحب العلوم الرياضية والرصد، متبحر في الهندسة وآلات الرصد، المحقق، المتكلم، الحكيم، المتبحر صاحب مصنفات فائقة ومؤلفات رائعة، أفضل أهل عصره في العلوم العقلية ذو حرمة وافرة ومنزلة عالية عند هولاكوا، له مصنفات كثيرة منها التذكرة النصيرية، تحري اقليدس، شرح الإشارات، تحرير المجسطي، تجريد العقائد والأخلاق الناصرية و... وله أشعار وقصائد كثيرة بمواضيع مختلفة بالعربية والفارسية. والأمير مير فخر الدين محمود بن الأمير بيمين الدولة الفريومدي، المتخلص بابن بيمين والملقب بالمستوفي الطغراني (٦٨٥-٧٦٩هـ)، وهو أحد كبار شعراء

سعدي الشيرازي أديب الفارسية وشاعرها الكبير، السر في تميّز سعدي الشيرازي، مقالة الدكتور احمد لواساني، ص ٨٦.

كليات سعدي، محمد علي فروغي (ذكاء الملك)، ص ٢٨.

المصدر السابق، نفس الصفحة.

إيران في القرن الثامن الهجري، وتجلّت عبقريته في نظمه قطعاً ضمنها أفكاره الإجتماعية والأخلاقية، ويشتمل ديوانه على ١٥٠٠٠ بيت في مقاصد مختلفة.

١-٤-١ - المصادر الدينية لقصيدة سعدي الرائية:

ومن أهم المصادر الدينية لقصيدته الرائية، هو القرآن الكريم. حيث يُمثّل القرآن الكريم المصدر الرئيسي للألفاظ والصور الفنية عنده، ويُعدُّ المحور المركزي الذي تدور حوله أفكاره وتعبيراته ووسائله اللغوية بصفة عامة. حيث نُهل من رافد القرآن الكريم "حتى أصبحت عباراته - كما تدلُّ عليه مجموعة أشعاره العربية - جزءاً لا يتجزأ من كيانه الثقافي".^١

فقد كان لثقافة سعدي القرآنية كمصدر أساسي، أثر كبير و دور فعّال بأسلوب يمكّنه من التعبير عن شتّى أغراضه وتجاربه ومختلف أفكاره وأهدافه. فاستعان بمعجم مفردات القرآن الثري واستلهم صوره وإشارات، و وعى نصه وأسلوبه، وصبَّ كل ذلك في قالب التصريح والمباشرة والإقتباس السافر مرة، وفي تلميح لطيف وإيماء وإشارة خفية مرة أخرى، في أروع تصوير وبأسلوب بديع.

وفي هذه القصيدة استعان بمفردات القرآن الكريم ، فنجده يقول:

وَلَوْ كَانَ كَسْرَى فِي زَمَانِ حَيَاتِهِ لَقَالَ إلهِي أَشَدُّ بِدَوْلَتِهِ إِزْرِي

وفي البيت مبالغة واقتباس من قوله تعالى: "وَأَجْعَلْ لِي وَزيراً مِنْ أَهْلِي، هَارُونَ أَخِي، أَشَدُّ بِهِ إِزْرِي".^٢ ويقول سعدي في مطلع رائيته الرائعة:

حَبِسْتُ بِجَفْنِي الْمَدَامِعَ لَا تَجْرِي فَلَمَّا طَغَى الْمَاءُ اسْتَطَالَ عَلَى السُّكْرِ

وفي البيت تلميح للآية القرآنية: "إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ".^٣ وفي قوله:
كَأَنَّ شَيَاطِينَ الْقَيْودِ تَفَلَّتَتْ فَسَالَ عَلَى بَغْدَادَ عَيْنٌ مِنَ الْقَطْرِ

مقدمة الدكتور إحسان عباس على أشعار سعدي العربية : شناختي تازة از سعدي ، دكتر مؤيد شيرازي ، ص ١٠٥ .

النص الكامل لكليات سعدي المطابق لنسخة محمد علي فروغي (ذكاء الملك)، ص ٩٦٤ .

سورة طه ، الآيات ٢٩ - ٣١ .

النص الكامل لكليات سعدي المطابق لنسخة محمد علي فروغي (ذكاء الملك)، ص ٩٦١ .

سورة الحاقة ، الآية ١١ .

٢

٣

تلميح إلى الآية الكريمة: "وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ" ، ويقول أيضاً:

٤

هَنِيئًا لَهُمْ كَأْسُ الْمَنِيِّ مُتْرَعًا وَ مَا فِيهِ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ عِظَمِ الْأَجْرِ

وفيه إشارة إلى آيات عديدة وردت في القرآن الكريم عن الأجر العظيم، منها "لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ" ، ويشير إلى قصة نبي الله يُونس والحوث الذي ابتلعه، وأبقائه في بطنه فترة يعلمها الله في قوله:

٦

ضَفَادِعُ حَوْلَ الْمَاءِ تَلْعَبُ فَرِحَةً أَصْبِرُ عَلَىٰ هَذَا وَ يُونُسُ فِي الْقَعْرِ؟

وفيه كناية عن المغول في "ضفادع" وعن الخليفة المستعصم في "يونس". وفي المصراع الثاني أسلوب إنشائي متمثل في الإستفهام "أصبر...؟" الذي أراد به النفي. كما أشار إلى قصة يوسف وجماله ومكانته في مصر، فقال:

٧

مَلِيكَ عَدَا فِي كُلِّ بَلَدَةٍ اسْمُهُ عَزِيزًا وَ مَحْبُوبًا كَيْسُفَ فِي مِصْرٍ

كما يشير إلى قصة "هاروت" و "ماروت" الواردة في القرآن الكريم ، فيقول: "ولو كان عندي ما يبابل من سحر" وهو تلميح إلى الآية القرآنية الكريمة: "يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكِينَ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ" .

٢

٨

"وهكذا يبدو أن التعبير القرآني قد تغلغل في روح سعدي على نحو فذ، ومن بلغ هذا الحد من الوعي بروعة الأسلوب القرآني لا يمكن أن يكون بعيداً عن إدراك أسرار العربية" .

٢

٩

وكان تأثر سعدي بالحديث النبوي الشريف كتأثره بالقرآن الكريم، وانعكس ذلك على أدبه العربي، حيث استلهم محتواه ومعناه، فأورد في إشارات وتلميحات حيناً، وفي شكل صريح ومباشرة أحياناً أخرى.

وَ فِي الْخَبْرِ الْمَرْوِيِّ دِينَ مُحَمَّدٍ يَعُودُ غَرِيبًا مِثْلَ مُبْتَدَأِ الْأَمْرِ

النص الكامل لكليات سعدي المطابق لنسخة محمد علي فروغي (ذكاء الملك)، ص ٩٦٣.

سورة سبأ ، الآية ١٢ .

النص الكامل لكليات سعدي المطابق لنسخة محمد علي فروغي (ذكاء الملك)، ص ٩٦٢.

آل عمران ، الآية ١٧٢ .

النص الكامل لكليات سعدي المطابق لنسخة محمد علي فروغي (ذكاء الملك)، ص ٩٦٢.

المصدر السابق، ص ٩٦٤.

سورة البقرة ، الآية ١٠٢ .

مقدمة الدكتور إحسان عباس على أشعار سعدي العربية ، انظر شناختي تازة از سعدي ، ص ١٠٥ .

النص الكامل لكليات سعدي المطابق لنسخة محمد علي فروغي (ذكاء الملك)، ص ٩٦٢.

وفيه إشارة صريحة الى الحديث النبوي الشريف: "إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود كما بدأ فطوبى للغرباء" .
ويشير إليه تلميحاً في قوله:

وَجَنَّاتٌ عَدْنٌ حُفَّتْ بِمَكَارِهِ فَلَا بَدَّ مِنْ شَوْكٍ عَلَيَّ فَنَنْ الْبُسْرِ

فهو يشير في تلميح إلى الحديث النبوي الشريف: "حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ" . ولا شك أنه اقتبس في قوله "جَنَّاتُ عَدْنٍ" الآية الكريمة: "جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ" . فقد اقتبس في آن واحد آية قرآنية وحديثاً نبوياً شريفاً.

كما أفاد من الحديث النبوي الشريف المشهور، "إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ لِحِكْمَةً وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لِسِحْرًا" ، فقال:

وَمَا الشَّعْرُ أَيْمُ اللَّهِ لَسْتُ بِمُدَّعٍ وَ لَوْ كَانَ عِنْدِي مَا بِبَابِلَ مِنْ سِحْرِ

وقد استخدم في رائعته هذه في أكثر من موضع كلمة "طوبى" وهي ذات مرجعية دينية، فقد استخدمها الرسول الأكرم (ص)، وقال سعدي:

إِذَا كَانَ لِلْإِنْسَانِ عِنْدَ حُطُوبِهِ يَزُولُ الْغَيْ، طُوبَى لِمَمْلَكَةِ الْفَقْرِ

لقد كان هذا العصر عصر فتن ومحن نزلت بالعالم الإسلامي. وعلى الرغم من أنَّ حكام ولاية فارس حموا بلادهم من اجتياح المغول والتتار لها، لكن اضطراب الأمور كلها حمل الشاعر على الترحال والطواف. ولقد أُرِّخ لكثير من الحوادث التي شاهدها أو سمع بها في قصيدته الرائية التي تعتبر أكبر قصيدة عربية وأطولها قيلت في رثاء بغداد حين خربها هولوكو، فهو يندب تلك الديار الخربة ويكي تلك المعالم المتهالكة وتبدو فيه اللوعة والألم العميق، حتى انه تمنى الموت قبل وقوع الكارثة، وفاضت مشاعره بكل المعاني والأحاسيس الإنسانية:

حَبَسْتُ بِجَفْنِي الْمَدَامَعَ لَا تَجْرِي فَلَمَّا طَغَى الْمَاءُ اسْتَطَالَ عَلَى السُّكْرِ

صحيح مسلم ، الجزء الأول ، ص ٩٠؛ إحياء علوم الدين ، الجزء الأول ، ص ٢٩ ، النهاية في غريب الحديث ، المطبعة الخيرية ، مصر ، الجزء الثالث ، ص ١٧١ .
النص الكامل لكليات سعدي المطابق لنسخة محمد علي فروغي (ذكاء الملك)، ص ٩٦٢ .
الجامع الصغير ، الجزء الأول ، ص ١٤٧ .
سورة طه ، الآية ٧٦ .
مسند احمد ، الجزء الأول ، ص ٢٦٩ .
النص الكامل لكليات سعدي المطابق لنسخة محمد علي فروغي (ذكاء الملك)، ص ٩٦٤ .
المصدر السابق، ص ٩٦٣ .

نَسِيمَ صَبَا بَعْدَ بَعْدِ خَزَائِمَا تَمَنِّيْتُ لَوْ كَانَتْ تُمَرُّ عَلَيَّ قَبْرِي

ويرثي فيها المدرسة المستنصرية والعلماء:

بَكَتْ جُذْرُ الْمُسْتَنْصِرِيَّةِ نُدْبَةً عَلَى الْعُلَمَاءِ الرَّاسِخِينَ ذَوِي الْحَجَرِ
نَوَائِبُ دَهْرٍ لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَهَا وَلَمْ أَرَّ عُذْوَانَ السَّنْفِيهِ عَلَى الْحَبْرِ
مَحَابِرُ تَبَكِّي بَعْدَهُمْ بِسَوَادِهَا وَبَعْضُ قُلُوبِ النَّاسِ أَحْلَكَ مِنْ حَبْرِ

وهكذا فقد حفلت قصيدته في رثاء بغداد بآيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، فلم يكتف بالنصّ القرآني وحده كمصدر أساسي، بل استعان بالموروث الإسلامي، وهذا مايفسر لنا معالجته للموضوع الواحد بعدة آراء ربما تضاربت في الحكم عليها. ونلاحظ أنّ بيانه ينساب ويجري فيتألاً فيه وما يختزنه عقله من ثقافات متباينة تنوّعت في مصادرها واختلفت في مواقفها. وكل هذا التنوع في الكتابة لهو أكبر دليل على أن "سعدي" كان واسع الأفق والخيال، موسوعي الثقافة والفكر. كما تجلّت في هذه القصيدة بوضوح شخصية الشاعر في ميلها للواقعية إلاّ في القليل. و أن اهتمامه قد انصبّ على الجانب التعليمي والأخلاقي في أغلب الأحيان، وهذا يعكس لنا نظرتة للحياة وغايته منها. فقد صبّ أفكاره في قالب شعري مبتكر يتّصف بالحيوية والإنسانية، بالقوة والرصانة. وهكذا كان سعدي، فإنه لم يكن في صف الحكماء، بل هو أديب شاعر له مرتبة من الفضل والتأمل الفكري، والمصدر الأساسي لحكمته هو التجارب والإلهام. فقد كان أديباً و واعظاً متبصراً في أحوال عالمه، وناصحاً قد ذاق حلاوة العيش ومره. إذ هو شاعر الأخلاق والشريعة في آن واحد.

١-٢- أشعار سعدي العربية